مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية
ISSN 2170-0370/E-ISSN 8127-2710
المجلد13- العدد2/ 2022،ص ص263-273

النخلة ودلالاتها لدى البونيين

The Palm tree and its Significances for the Punics

سليم سعيدي [1]
جامعة 8 ماي 1945 قالمة ، البريد الالكتروني، salimsaidi215@gmail.com

تاريخ الاستلام :2021/05/25 ؛ تاريخ القبول : 2022/02/28 ؛ تاريخ النشر : 2022/06/12

الملخص

تعتبر النخلة من أهم الأشجار المثمرة التي اكتسبت مكانة هامة في حياة الشعوب السامية القديمة، وخصوصا لدى البونيين، لأهميتها الغذائية وفوائدها المتعدّدة في حياتهم اليومية، إذ استخدموا جذوعها وسعفها في بناء البيوت وصناعة بعض الحاجات كالسلال والحبال... كما سجّلت هذه الشجرة حضورا كبيرا في المجالين الديني والرمزي، فكانت رمزا ملازما لبعض الآلهة وكشجرة مقدّسة ترمز للثروة والخصوبة وتجدّد الحياة، وهذا ما تؤكّده الكثير من اللقى المادية كالأنصاب والنقود والجعارين (scarabs) والأواني الفخارية التي برزت عليها.

الكلمات المفتاحية: النخلة؛ الدلالة؛ البونيين؛ الأنصاب؛ الجعارين.

Abstract

The palm tree is regarded to be one of the most significant trees due to its fruitulness. It obtained an important position in the acient Semitic peoples lives , especially among the Punic because if its nutritionary importance and aslo the various benefits in their daily lives. They use dits trunks and fronds in building homes and making some needs such as baskets and ropes… The palm tree marked its presence in the relgious and symbolic scops, i twas also a symbol associated with some gods and as a sacred tree symbolizing wealth, fertililty and the renwal for life. This fac twas confirmed by many archaeologiocal remains such as monuments, coins, scarabs and the pottery pots that made the palm tree facade on it.

Keywords : The palm, Significance, the Punics, monuments, scarabs.

*سليم سعيدي.

مقدمة :

قدّست الشعوب القديمة مظاهر الطبيعة، وبعض الحيوانات والنباتات خوفا منها، أو طمعا في فوائدها، اعتقادا أنّ لها أرواحا تؤثّر فيهم خيرا أو شرا خاصة الأشجار، حيث لاحظ الإنسان التغيّرات التي تطرأ عليها عبر الفصول من اخضرار أوراقها، ونضج ثمارها، وسقوط أوراقها فيما بعد. وهذا ما جعل الإنسان يعيش قلقا، ومنتظرا بلهفة شديدة عودة الاخضرار وفصل الفواكه من جديد، فسعى جاهدا لإرضائها بعبادتها وتقديم الذبائح لها. ومن أهم الأشجار التي حظيت بالقداسة والروحانية عند الإنسان في الحضارات القديمة، نذكر: أشجار الزيتون، والرمان، والنخيل... غير أنّ هذه الأخيرة قد حظيت بمكانة خاصة عند الإنسان. ومن هنا طرحنا التساؤلات الآتية: ما هي أهم اللقى المادية التي برزت عليها شجرة النخيل؟ وما الدلالات الرمزية التي تحملها في الثقافة البونية؟ وما هي أصول هذه الدلالات؟

الدراسات السابقة:

لقد تطرقت بعض الدراسات والأبحاث لموضوع النخلة ودلالاتها لدى الساميين ومنهم البونيين، ومن أهم تلك الدراسات نذكر مقالا للأستاذة زهرة شريف بعنوان (le palmier dattier et son image dans l'iconographie carthaginoise)، وكذلك الأستاذ محمد حسين فنطر الذي أشار لدلالة النخلة وأهم البقايا المادية التي برزت عليها في بعض كتبه ومقالاته، ومن أهمها كتاب (الحرف والصورة في عالم قرطاج)، فضلا عن مراجع أخرى أشارة لهذا الموضوع.

أهمية الدراسة:

1- قلة الدراسات التاريخية التي اهتمت بهذا الموضوع؛

2- تسليط الضوء على أسباب بروز شجرة النخلة على اللقى المادية البونية؛

3- التعريف بالدلالات الرمزية لشجرة النخلة.

منهج الدراسة: استخدمت المنهج التاريخي.

تقسيمات الدراسة: قسمت هذه الدراسة إلى تمهيد وعدد من النقاط وخاتمة كانت عبارة حوصلة لأهم نتائج الدراسة.

1- التعريف بشجرة النخيل: تُعرف نخلة التمر علميا باسم (phoenix dactylifera)، ويُفترض أنّه مشتق من الطائر الأسطوري الفينيق (phoenix). أمّا كلمة (dactylifera) فهي مشتقّة من الكلمة اليونانية (Daktulos) وتعني أصبع، وهذا ما يُوضّحه شكل ثمارها (التمر). ويشمل جنس النخيل (phoenix) حوالي 1500 نوع، أهمها نخيل التمر (Rima, 2013, 8-9) الذي يتميّز بقدرته على النمو ضمن مدى واسع من الظروف المناخية المختلفة، إذ تنتشر زراعته في الكثير من مناطق العالم وبالقارات الخمس. لكن تبقى منطقة الشرق الأدنى أقدم المناطق زراعة لهذه الشجرة منذ الألف السادسة أو الخامسة قبل الميلاد (Auguste,1952،206)؛ وتتكوّن النخلة من نظام جذري كبقية النباتات، من جذور وجذع وهو ساق طويل وغليظ اسطواني الشكل ذو لون بني، يصل ارتفاعه في بعض المناطق حوالي ثلاثين مترا، وذات قطر يتراوح ما بين45 و55 سم، ومن مجموعة من السعفات (جريدة) يصل عددها ما بين مئة ومئتين سعفة، ويبلغ طول

الواحدة حوالي ستة أمتار، أمّا ثمارها فتكون في شكل مجموعة من العراجين، وكل عرجون يتكوّن من مجموعة من الشماريخ تتراوح ما بين عشرين ومئة شمروخ(Absi,2012, 8)

وقد اختلفت آراء الباحثين في تحديد أصل شجرة نخلة التمر، فيرى البعض أنّ أصولها تعود للهند، بينما يرى آخرون أنّ أصولها تعود لأفريقيا المدارية أو لسواحل بلاد النوبة، أو شبه الجزيرة العربية. ويبدو أنّ أول من دجّنها هم السومريون في جنوبي العراق القديم منذ منتصف الألف الربعة قبل الميلاد. (Chérif .2003, 72)

2.– النخلة ودلالاتها في الشرق الأدنى:

لقد عرف العراقيون القدامى أهمية شجرة النخيل منذ عصر العبيد، وانتشرت زراعتها في المنطقة الممتدة من بلاد سومر جنوبا حتى مدينة بابل شمالا، وخُصّصت لها بساتين كبيرة، رغم كونها من الأشجار بطيئة النمو التي لا تعطي ثمارها إلّا بعد مدة تتراوح ما بين أربع وست سنوات (الأحمد، 1985،167)؛ وقد عُرفت عند السومريين باسم (ZU-LUM)، وعند الأكاديين باسم (SULUPPU)، وفي حالة الرطب يطلق عليه رطابو (RATABU) أي الثمار النصف الناضجة. ويعود اهتمامهم بها لفوائدها العديدة في مختلف النواحي الاقتصادية، والاجتماعية، والدينية. وممّا يدل على مدى اهتمام العراقيين القدامى بشجرة النخيل هو إصدار مجموعة القوانين والعقود التي تهتم بزراعتها ورعايتها وجني محصولها وتقسيمه بين البستاني وصاحب الأرض (الصالحي،2008،691)، وقد كانت النخلة غذاء أساسيا لدى السكان، فاستغلّوها في عدّة أغراض، منها استخدام جذوعها كأعمدة للبيوت، وجريدها في السقوف، وحطبها للنار، فكل هذه المزايا جعلت من العراقيين يهتمّون بزراعة هذه الشجرة (Danthine 1937،8) ، ومن جهة أخرى، فقد اتّخذ العراقيون القدامى من النخلة شجرة الحياة، لأنّها تمتاز بالاخضرار طيلة أيام السنة، ولهذا احتلت مكانا هاما على مختلف البقايا الأثرية، كالأختام الأسطوانية، والأنصاب، والألواح الجدارية منذ منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد لدى السومريين، كما أنّها ترمز للخصوبة، والثروة، والرخاء الاقتصادي، وتجدّد النبات والطبيعة بشكل عام من خلال صور هذه الشجرة وهي مزوّدة بعراجين التمر (Fanny et Annie, 2014).

وكانت ثمار النخلة منذ العصر السومري من أهم القرابين النباتية المكرّسة والمفضّلة للآلهة خاصة للإله آنو في معبد الوركاء. وهذا ما تشير إليه عدّة لُقى أثرية ومنها الأختام الاسطوانية التي حملت صورة عرية يمتطيها أشخاص عراة يمثّلون الكهنة وهم يحملون عراجين التمر لتقديمها كقربان للربّة السومرية إينانا، كما عُثر على لوحة طينية بمدينة أشنونا تحمل صورة جذع نخلة يمسكها إلهان، وهما بمثابة حارسين لها، وهذا ما يدل على أهمية ومكانة النخيل في المجتمع العراقي كشجرة مقدّسة (الصالحي، 2008 ،692)، أمّا في مصر القديمة، فيبدو أنّ زراعة النخيل قد عُرفت فيها منذ مرحلة فجر التاريخ. ومن الشواهد الدّالة على ذلك هو العثور على لوحة عاجية بمدينة بوتو (في منطقة الدلتا) تعود للأسرة الأولى وتُصوّر أشجار نخيل وهياكل من جهة، وماء يجري من الجهة الأخرى.

ويُعزى سبب اهتمام المصريين القدامى بهذه الشجرة لقيمتها الغذائية، وأهميتها في توفير الظل في بيئة صحراوية ساخنة (Fanny et Annie, 2014)، واعتقادهم بأنّ استهلاك التمر بكثرة يساعد على التئام الجروح (كوفيل،2010،83)، واستغلال جذوعها كأعمدة في بناء وتسقيف البيوت والقبور، وسعفها في صناعة بعض الأدوات اللازمة للفلاح في الحقل والبيت، كالحبال، والسلال والنعال، والأطباق، والكراسي الخفيفة (نظير، 1970،124)، وأمّا في المجال الديني والرمزي، فكان للنخلة وثمارها حضورا متميّزا في مصر الفرعونية، إذ كانت بمثابة شجرة مقدّسة في عدّة مناطق منها، فارتبطت بالربة حتحور ربة الخصوبة، ولذلك أُستعين بجذوعها في بناء

المعابد كأعمدة لها، كما كانوا يُقدّمون التمر كقربان لأوزوريس إله العودة الأبدية، كما يعبّر التمر في نفس الوقت عن القوة التناسلية للخلق أي الخصوبة (كوفيل، 2010 ،83)، وكثيرا ما شُبّهت النخلة بالمرأة في شكلها وأناقتها، وهذا ما يُفسّر ارتباط النخلة بربة الأنوثة المرضعة (Fanny et Annie, 2014).

أمّا في الجانب الجنائزي، فقد كان المصريون القدامى يقدّمون سعف النخيل مع التمر المجفّف بكميات كبيرة قربانا لإله النيل، ويتيمنون بهذه الفاكهة، ويجعلون من سعفها مثوى لبعض الجثث، كما كانوا ينثرون السعف في الطرقات التي تمر بها الجنازات. ويرجع السبب في اختيار السعف إلى خضرته الدائمة، ومن المعروف أنّ الخضرة ترمز للحياة المتجدّدة (نظير،123،1970)، وجاء في متون الأهرام أنّ التمر والماء هما الغذاء الأساسي للموتى في قبورهم، ولهذا كانت هذه الفاكهة من أهم القرابين النباتية منذ العصر العتيق (Fanny et Annie, 2014)، وإذا كانت صورة شجرة النخيل أو السعفة قد انتشرت في العراق ومصر منذ منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد، فإنّ انتشارها في سوريا والساحل الفينيقي قد تمّ منذ الألف الثانية قبل الميلاد، إذ برزت على بعض اللقى الفينيقية وارتبطت بربة الخصوبة عشتارت (Chérif, 2003,68)، كما عُرف عندهم إله باسم سيد التمر أو بعل التمر، ومن خلالهم تغلغلت في العالم الإغريقي وصارت كرمز فني وزخرفي هام، وهذا يدل على تأثّرهم بالحضارات الشرقية، وتجدر الإشارة هنا أنّ الإغريق أطلقوا اسم فوينيكس (Fantar, 1993,16)، (φοίνιξ) على الفينيقيين وشجرة النخيل في نفس الوقت (Benseddik, 1984, 178)، وارتبطت عندهم بالربتين أرتميس وأفروديت خاصة في جزيرتي قبرص وكريت خلال العصر الميسيني (Monbrun,1989,74).

كما تُعتبر النخلة من أهم الأشجار التي اهتم الأفارقة القدامى بزراعتها لفوائدها العديدة، وعلى الرغم من أنّها شجرة دخيلة عن المنطقة إلّا أنّها كانت تنمو بكثرة عندهم، إذ يذكر المؤرخ الإغريقي هيرودوت (هيرودوت، 2001 ،172) أنّ قبائل النسامونيين يتركون في فصل الصيف قطعانهم ترعى في المناطق الساحلية، ويتوجّهون نحو المناطق الداخلية كمنطقة أوجيلة (Augila) لجني تمورهم الكثيرة، كما كانت من أهم المحاصيل الزراعية لدى قبائل الغرامنت في الجنوب الغربي من ليبيا، وهذا ما تُؤكّده إحدى مشاهد الفن الصخري بمنطقة الطاسيلي (Lhote, 1976,40)، وقد استهلكوها طازجة أو مجفّفة أو مطبوخة أو مطحونة، وصنعوا منها الخمور بعد تخمير التمر أو من عصارة الشجر نفسها، واستغلوا جريدها وجذوعها في تسقيف البيوت، وصنعوا من ليفها وسعفها حبالا متينة (Bates,1914,10)، وإذا كانت زراعة النخيل معروفة في منطقة المغرب القديم قبل وصول البحّارة الفينيقيين، فإنّ تقديسها قد انتشر بفضل أحفادهم القرطاجيين في المنطقة.

3 – النخلة من خلال اللقى المادية البونية:

برزت النخلة أو السعفة على العديد من اللقى المادية في العالم البوني، كالأنصاب، والجعارين وشفرات الحلاقة، والعملات النقدية، والأختام، والأواني الفخارية، وقوالب صب المعادن، وعلى جدران الحوانيت البونية الليبية (Monbrun,1990,119)، منذ القرن السابع قبل الميلاد على غرار أسلافهم الفينيقيين، واستمرّت قرونا بعد سقوط قرطاج في المجتمع الإفريقي نظرا للعلاقات الحضارية الوطيدة التي جمعت البونيين مع جيرانهم الأفارقة، وهذا ما سنفصله في مايلي:

3 . 1 – النخلة من خلال الأنصاب:

يُعتبر تصوير شجرة النخيل من أهم المواضيع التي برزت على الأنصاب النذرية والجنائزية، سواء كانت كاملة أو جزء منها كالسعفة، وأحيانا تُصوّر وهي محمّلة بعراجين التمر، وغالبا ما تُمثّل منفردة أسفل

النصب أو في وسطه، كما تبرز بالقرب منها بعض الرموز الأخرى كعلامة تانيت والهلال وقرص الشمس والمبخرة واليد. وأحيانا تُنقش صورة هذه الشجرة بين صولجانين، أو زهرتي اللوتس، أو عمودين، أو ورقتي اللبلاب (Hours-Miédan, 1953,47)، أو بين علامة تانيت وصولجان، ونادرا ما تُصوّر النخلة كاملة في جبهة النصب، فنرى مثلا على أحد الأنصاب صورة رجل يرتدي معطفا ويرفع يده اليمنى للأعلى طلبا للبركة (Benichou، 1982 116) ويضع يده اليسرى على بطنه وتحيط به نخلتان وصولجانان (Chérif, 2003, 45)، وتُستبدل شجرة النخيل أحيانا بسعفة أو سعفتين أو حتى بباقة سعفات دون جذع النخلة، فنلاحظ مثلا على أحد أنصاب معبد الحفرة بسيرتا زخرفة نباتية في الوسط وعلى يمينها سعفة نخيل وعلى اليسار صولجان، وعلى نصب بوني آخر يُصوّر الربة تانيت وهي تحمل صولجانا بيدها اليمنى، وسعفة نخيل بيدها اليسرى (Boudraa, 2003, 149). (انظر الشكل1).

وقد تواصل تصوير النخلة أو السعفة على الأنصاب حتى بعد سقوط قرطاج، حيث عُثر على بعض الأنصاب الجنائزية والنذرية ذات تأثيرات بونية في منطقة قصرة (Kesra) شرقي مدينة مكثر بتونس، وتحمل واحدة منها صورة امرأة ترتدي ثيابا كهنوتية، وتحمل فوق رأسها سلّة من القرابين، ويقابلها ثور يبدو أنّه قربان كذلك ويعلو النصب سعفتا نخيل (Ferjaoui، 1993، 133)، كما عُثر في منطقة الغزايزية بتونس على نصب يُصوّر شخصا يحمل في يده اليمنى سعفة، وفي يده اليسرى صولجانا، وبه كتابة بالخط البوني الحديث تذكر اسم الإله بعل حمون، وهذا يعني أنّها مكرّسة لهذا الإله (Ghaki، 1993، 166).

الشكل (1): نصب بوني يصور تانيت تحمل صولجانا وسعفة نخيل
(Boudraa, 2003, 155)

3 . 2 – النخلة من خلال شفرات الحلاقة:

لقد صُوّرت النخلة منفردة أو رفقة مشاهد أخرى كالرموز الحيوانية أو الفلكية على أحد وجهي شفرات الحلاق(Chérif, 2003, 75) ، لكن بدرجة أقل مقارنة مع الأنصاب والقطع النقدية، ففي أحد الشفرات

برزت نخلة بأبعاد مختصرة وبالقرب منها قدم يمنى لشخص واقف يرتدي سترة قصيرة ويمشي نحو اليمين ويرفع يده اليمنى تقديسا أو طلبا للبركة (انظر الشكل2)، وفي شفرة أخرى برزت سعفة ما بين قناعين متقابلين وفي الأسفل صورة لبؤة جاثمة. ويُلاحظ أنّ تمثيل هذه الشجرة على الأنصاب وشفرات الحلاقة قد جاء غالبا بشكل تخطيطي بسيط (فنطر، 1999 ،202)،كما كانت الطيور من أهم الحيوانات التي رافقت السعفة نذكر منها النعام، والحمام والصقور، فقد تم العثور مثلا على شفرة بأحد القبور القرطاجية تُصوّر على أحد وجهيها شجرة نخيل يعلوها صقران متناظران يحمل كلاهما التاج المصري، ويُوجد تحت الشجرة طائر آخر يبدو أنّه كركي (Chérif, 2003, 75)، كما عُثر على شفرة حلاقة بالمقبرة البونية بمنزل تميم تُصوّر رجلا يمشي نحو اليمين ورافعا يده عاليا تقديسا أو طلبا للبركة ويرتدي سترة طويلة مطرزة ومشقوقة من الأمام وقد شدّها إلى خصره بحزام، ويمسك بيده اليسرى سعفة نخيل، كما تُوجد سعفة أخرى منقوشة بإتقان على ساق هذه الشفرة، وتُؤرّخ ما بين القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد (Khanoussi، 1986، 85).

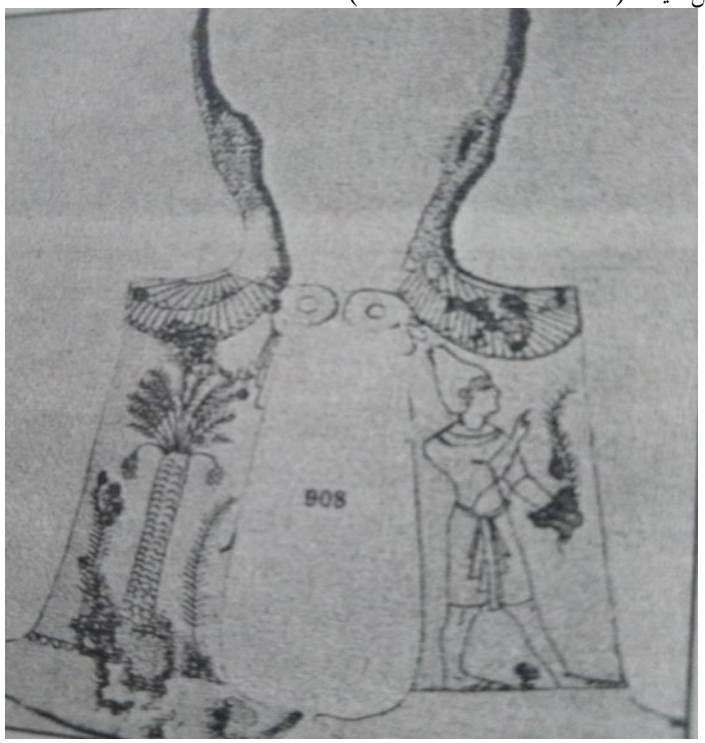

الشكل رقم 2: صورة نخلة على شفرة بونية.
(Chérif, 2003, 73)

3.3– النخلة من خلال الجعارين:

يبدو أنّ تصوير النخلة أو السعفة على الجعارين[1] كان نادرا جدا، ومع ذلك فقد عُثر داخل قبر قرطاجي على جعرانين اثنين يُؤرّخان بالقرنين السابع والسادس قبل الميلاد، الأول مشكّل من عجينة صلبة ذات لون أبيض وتتضمّن مشهدا لقردين من نوع القردوحيات (cynocéphale) يتسلّقان نخلة تتميّز بساق صغير في الأسفل لكنّه يزداد كبرا في الأعلى، ويتكوّن من ست سعفات في شكل أوراق ذات تخديدات متوازية. أمّا

الجعران الثاني فمصنوع من اليشب (jaspe) ويُؤرّخ بالنصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد ويبرز عليه كذلك قردان جالسان في القارب الشمسي الذي يشير لرحلة روح المتوفّى نحو العالم الآخر، وفي الوسط يتدلّى عرجونان من التمر(Chérif , 2003, 76)

4.3 – النخلة من خلال العملات القرطاجية:

بدأت قرطاج سك العملات منذ نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، وتم ذلك في مستوطناتها بجزيرة صقلية، وكانت مصنوعة من الفضة ومستوحاة من النقود الإغريقية، ولم يتم سك النقود الذهبية إلّا في أواسط القرن الرابع قبل الميلاد، أمّا النقود البرونزية فقد صدرت خلال الحرب البونية الأولى في أغلب المدن البونية، كقرطاج، وكركوان، وأوتيكا، وحدرموت... وبكميات كبيرة. وقد صُوّرت عليها رموز فلكية وصور حيوانية ونباتية من أهمها شجرة النخيل (Ben Romdhane ,1996 ،12)

وقد برزت صورة هذه الشجرة على العملات القرطاجية رفقة رموز أخرى، خاصة الحصان، ويُمكن تفسير هذا بذكرى تأسيس مدينة قرطاج، حيث عُثر عند بداية الحفر على رأس حصان مدفون أسفل نخلة (Alexandropoulos, 2007, 47)، كما برزت مع صورة رأس الربة تانيت وهي متوّجة بسنابل القمح، وكثيرا ما رافقت صورة الحصان، ففي إحدى القطع نرى هذا الحيوان يمشي ووراءه تنتصب شجرة نخيل بشكل جميل ولها جذع يعلوه عرجونان من التمر (انظر الشكل3)، أمّا فيما يتعلّق بشكل العراجين فقد رُسمت في شكل عناقيد العنب بنقاط صغيرة. ونرى على عملة أخرى نخلة جميلة تخرج منها عدّة سعفات ويتدلّى منها عرجونان من التمر، وعلى قطعة أخرى صدرت بصقلية نرى أسدا يمشي نحو اليسار ومن وراءه تنتصب شجرة نخيل، وفي الأسفل كتابة بونية (انظر الشكل4) (Chérif.2003, 76).

الشكل (3): عملة بونية تحمل صورة شجرة نخيل مع أسد
(Alexandropoulos, 2007, 510)

وما يلفت الانتباه أنّه غالبا ما يتم تصوير شجرة النخيل كاملة سواء بعراجين التمر أو بدونها، ولم تُصوّر السعفة وحدها على غرار الأنصاب والشفرات والجعارين إلّا في حالات نادرة جدا، وكان ذلك خلال الحرب البونية الثانية (218-201 ق.م).

كما برزت النخلة أو السعفة على الأواني وقشور بيض النعام لكن بدرجة أقل، فقد عُثر على آنية فخارية بونية مزيّنة بسعفة نخيل بمقبرة قونونو الساحلية تعود للقرن الثالث قبل الميلاد (Gauckler, 1915, 407)،

كما برزت على حوانيت بني يزلة وجبل زبوج وكاف البليدة بالغرب التونسي، حيث تؤطّر أحد الأبواب رفقة علامة الربة تانيت وصولجان(Longerstay, 1990, 128) .

الشكل (4): عملة بونية تحمل صورة نخلة ورأس حصان
(Ben Romdhane, 1996,14)

4- دلالات النخلة:

يُلاحظ أنّ أشجار النخيل المجسّدة على المعالم القرطاجية هي أشجار مؤنّثة، إذ غالبا ما تُصوّر وهي محمّلة بعراجين التمر، ولهذا فهي ترمز للخصوبة والإخصاب التي تخلق دون شك الرخاء والثروة، وكانت بمثابة شجرة الحياة المقدّسة لدى البونيين وجميع الشعوب السامية، كما أنّ لها دلالة وقائية مرتبطة ببعض الآلهة كالربة تانيت التي تعتبر من أهم رموزها (Chérif,2003, 81)، وأحيانا تكون النخلة رمزا للإله الشمسي بعل حمون الذي يُعتبر الضامن لرخاء وازدهار المدين(Ferron, 1966, 52) ، وفسّر البعض سبب تصويرها على العملات البونية لكونها شعارا للدولة القرطاجية، فهي شجرة تحمل معاني الخير والرخاء والخلود. ومن الممكن أن يكون حضور هذه الشجرة على اللقى المادية مع بعض الرموز، كالفأس والمباخر والصولجان وعلامة تانيت، هو تجسيد أو تمثيل خفي لإله ما بشكل بسيط (Chérif,2003, 81)، ويحمل تمثيل النخلة على البقايا الجنائزية مع رموز أخرى كالصولجان وزهرة اللوتس[2] وأوراق اللبلاب، لدى البونيين دلالات أخروية، إذ ترمز للحياة الأبدية معتقدين أنّ

حملها أو وضعها رفقة الموتى يحمي أرواحهم من القوى الشريرة، ويجدر الذكر هنا أنّه غالبا ما نرى على الأنصاب والشفرات صورة شخص سواء كان رجلا أو امرأة يحمل في يده سعفة نخيل واليد اليمنى مرفوعة عاليا طلبا للبركة، ويبدو أنّ شجرة النخيل قد حافظت على دلالاتها مع مرور القرون وفي مختلف الحضارات، واعتبرت دوما بمثابة شجرة مقدّسة. وقد كان الفائزون في الألعاب الرياضية لدى الإغريق والرومان يحملون السعفات تعبيرا عن انتصاراتهم التي حقّقوها (Chérif,2003, 81)، وبعد انتشار المسيحية صارت سعفة النخيل ترمز للشهيد الذي حقّق النصر الأعلى، ورمزا للبعث. ويحمل المسيحيون السعفة يوم الأحد لكي يعيدوا التذكير بدخول المسيح عليه السلام الظافر لمدينة أورشليم (سيرنج، 1992، 297.)، كما ارتبطت النخلة بمريم العذراء أم عيسى عليه السلام، حينما استندت على جذع النخلة وهي في مخاض الولادة (Chérif,2003, 81)، وكما كانت النخلة والسعفة في الفن الجنائزي رمزا لانتصار المتوفّى على الموت، وتحقيق الحياة الأبدية في العالم الآخر (Boudraa 2003, 142.)، وقد تواجدت هذه الشجرة على المعالم الأثرية الرومانية حيث كانت رمزا للإله ساتورن باعتباره المبدأ الحيوي، كما برزت على الفن الروماني والبيزنطي والمسيحي بمنطقة شمال إفريقيا.(Leglay, 1966,149)

5- الخلاصة:

وختاما يمكن القول أنّ شجرة النخيل أهم الأشجار دلالة في المعتقدات البونية على غرار أغلب المعتقدات الشرقية القديمة (السومرية، البابلية، المصرية، الفينيقية) حتى غدت شجرة مقدسة ورمزا للشرق بشكل عام، لدرجة أنّ كانت كلمة فينيقي تعني لدى الإغريق النخلة، كما كانت شعارا لمدينة قرطاج، ويمكن تفسير هذا بذكرى تأسيس هذه المدينة، إذ عُثر على رأس حصان أسفل شجرة نخيل، فكان هذا بالنسبة لهم فأل خير لسكان المدينة الجديدة، فكانت رمزا للخير والرخاء والازدهار.

وقد برزت صورة النخلة كشجرة كاملة، وأحيانا تُستبدل بسعفة فقط، وقد تكون مزوّدة بعراجين التمر في بعض الصور، وكثيرا ما رافقتها بعض الرموز الحيوانية (طائر، حصان، أسد...) أو الرموز النباتية (زهرة اللوتس وزهرة اللبلاب) أو الرموز الفلكية (هلال وقرص الشمس)، ورموز أخرى (كعلامة تانيت، اليد المرفوعة نحو الأعلى، صولجان، قناع، عمود...). وارتبطت ببعض الآلهة القرطاجية في مقدمتها ربة الخصوبة والأمومة تانيت، والإله بعل حمون الساهر على رخاء وازدهار المدينة.

ومن جهة أخرى، كان التمر من أهم القرابين النباتية التي كانت تُقدّم للآلهة، فكانت للنخلة دلالات جنائزية إذ برزت صورتها على عدّة لقى أثرية كالأنصاب، والعملات، وشفرات الحلاقة، والجعارين والأواني الفخارية، داخل القبور أو بالقرب منها للدلالة على الخلود، والسلام، والحياة الأبدية التي ينشدها كل متوفّى.

وفي الأخير، تجدر الإشارة أن النخلة ودلالاتها لم تختف بعد سقوط قرطاج، بل استمرّت طيلة العصور اللاحقة وحتى الفترة الحديثة من خلال بروزها في الوشم، وزخرفة الزرابي، وعلى حواف الأبواب في بعض المناسبات الاجتماعية (كوصول الحجاج، والختان...) خاصة في المناطق الصحراوية حيث تكثر زراعة أشجار النخيل.

الشروحات والتعليقات:

1- أخذ البونيون من مصر استعمال أختام في شكل جعل (**جعران**)، وهذا الأخير هو حشرة من فصيلة الخنافس، وكان يتخذون من شكلها كحلي من خواتم وعقود يتزينون بها، معتقدين أن لها دلالات دينية وسحرية تحميهم وتدفع عنهم

الأذى وتجلب لهم الحظ السعيد، وقد كانت تُستورد هذه الحلي في القرون الأولى من تأسيس قرطاج من مصر مباشرة أو عبر فينيقيا، لكن فيما بعد صارت تُصنع في المدن البونية. للمزيد انظر: (فنطر، 1999 ،235-240).

2- زهرة **اللوتس** هي زهرة حمراء اللون معروفة ومقدسة في العالم القديم خاصة في مصر الفرعونية، وعرفت انتشارا لدى الفينيقيين وأحفادهم القرطاجيين، إذ برزت على الكثير من المعالم واللقى الأثرية، تحمل دلالات تزيينية وجنائزية، إذ ترمز للشمس والبعث من جديد، للمزيد انظر: (Hours-Miédan, 1953,47-48).

المصادر والمراجع:

1-باللغة العربية:

-الأحمد سامي سعيد وآخرون. (1985). الزراعة والري، موسوعة حضارة العراق،ج2. (د.ط). بغداد: دار الحرية للطباعة.

- سيرنج فيليب. (1992). الرموز في الفن والأديان والحياة، ترجمة:عبد الهادي عباس، (ط1). دمشق: دار دمشق.

- الصالحي صلاح رشيد. (2008). "النخيل في القوانين العراقية القديمة". مجلة الأستاذ، (73)، جامعة بغداد، 691-732.

- فنطر محمد حسين. (1999). الحرف والصورة في عالم قرطاج. (د.ط). تونس: مركز النشر الجامعي.

-كوفيل سيلفي. (2010). قرابين الآلهة في مصر القديمة، ترجمة: سهير لطف الله، القاهرة: مطبعة بي إتشرو.

- نظير وليم. (1970). الثروة النباتية عند قدماء المصريين. (د.ط). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

- هيرودوت، (2001). تاريخ هيرودوت، ترجمة: عبد الإله الملاح. (د.ط). أبو ظبي المجمع الثقافي.

2-باللغة الفرنسية:

- Absi Rima. (2012- 2013) .Analyse de la diversité du palmier dattier. université de Biskra mémoire de magistère en sciences agronomiques.
- Bates Oric. (1914). eastern libyans. London: Cornel university library.
- Benichou Safar Helene. (1982). le geste dit « de l'orant » sur les stèles puniques de Carthage, Actas del 3 semnario international sobre Temas Fenicios, Alicante, pp 99-116.
- Ben Romdhane Khaled. (1996). 25 siècles de monnaies tunisiennes. Tunis : Agence nationale du patrimoine.
- Benseddik Nacéra. (1984). »Un nouveau témoignage du culte de Tanit-Caelestis à Cherchel? » In: Antiquités africaines, (20). pp175-181.
- Boudraa Soufiane ,(2003). « Stèles ». Paris: in Catalogue l'Algérie au Temps des royaumes Numides.
- Chérif Zohra. (2003). « le palmier dattier et son image dans l'iconographie carthaginoise ». Le Sahara et l'homme, Actes du colloque organisé à Douz du 27 au 29 décembre, université de Tunis El Manar, pp67-84.
- Chevalier Auguste.(1952). « Recherches sur les Phoenix africains ». In: Revue internationale de botanique appliquée et d'agriculture tropicale, 32e année, bulletin n°355-356. pp. 205-236.
- Danthine Hélène. (1937). le palmier-dattier et les arbres sacrés dans l'iconographie de l'Asie occidental ancienne. Paris : libraire orientaliste Paul Geuthner.
- Fantar M'hamed Hassine. (1993). Carthage approche d'une civilisation. tome1. Tunis: les éditions de la Méditerranée.

- Ferjaoui Ahmed. (1992-1993). « stèles votives et funéraires trouvées à Kesra ». REPPAL, (7-8).Tunis, , pp131-136.
- Ferron Jean. (1966). « le caractère solaire du dieu de Carthage ». AFRICA, Tome V. institut national d'archéologie et d'art, Tunis. pp41-64.
- Gauckler Paul. (1915). nécropoles puniques de Carthage. Deuxième partie. Paris: Picard.
- Ghaki Mansour (1992-1993). « les stèles d'El Ghyaizya ». REPPAL, (7-8). Tunis, pp165-177.
- Hours-Miédan Madeline. (1953). « Les représentations figurées sur les stèles de Carthage ». Cahiers de Byrsa, Paris. pp11-160.
- Khanoussi Mustafa et autres. (1986). 30 ans au service du patrimoine, Tunis: institut national d'archéologie et art.
- Leglay Marcel. (1966). Saturne africain. Tome I. Paris: Boccard.
- Lhote Henri. (1976). vers D'autres Tassilis. Paris : Arthaud.
- Longerstay Monique. (1990). « Les peintures rupestres des haouanet de Khroumirie et des Mogods: aspects techniques et répertoire iconographique ». In: Revue archéologique de Picardie.(N°1-2). pp. 119-131.
- Michel-Dansac Fanny et Caubet Annie. (2014). « L'iconographie et le symbolisme du palmier dattier dans L'Antiquité (Proche-Orient, Égypte, Méditerranée orientale) ». Revue d'ethnoécologie [En ligne], 4 | 2013, mis en ligne le 07 janvier, consulté le 30 avril.
- Monbrun Philippe. (1989). « Artémis et le palmier dattier ». In: Pallas. (35). pp69-93.